ظهور المسيحية وتطوراتها حتى سقوط الشطر الغربي من الإمبراطورية الرومانية

ا.د. طالب محيبس الوائلي

كلية التربية/ جامعة واسط

الكلمات المفتاحية : المسيحية ـ الامبراطورية الرومانية

الخلاصة

شكل الحيز المكاني الذي ظهرت فيه المسيحية، والمضمار الزمني الذي ظهرت إبانه منطلقان مثاليان هيئا لها أسباب النجاح والانتشار، فظهورها في الموطن العتيد للديانات الشرقية وتحديداً في أرض فلسطين التي امتلكت أرثاً دينياً كبيراً، وتزامن ذلك مع فراغ روحي ران على الإمبراطورية الرومانية هيأ لها منطلقات موضوعية للانتشار، لاسيما بعد أن باشر دعاتها بنشر مبادئها وثوابتها في طول الإمبراطورية وعرضها، ولا ريب أن المسيحية تعرضت إلى تحديات كثيرة ومحددات انعكست بصورة أو بأخرى على عقائدها ومواقفها من السلطة الرومانية، تزامناً مع تطورات كثيرة أفرزت موقفاً رسمياً وشعبياً منها. والحقيقة أن ما تعرضت له المسيحية إبان مرحلة انتشارها كان له أعظم الأثر في مبادئها وثوابتها ومؤسساتها، بالشكل الذي انتهى بالمسيحية الى ما أصبحت عليه بعد اعتراف السلطات الرومانية بها عام ٣١٣. ولم تقتصر التطورات التي شهدتها المسيحية على فترة ما قبل الاعتراف، بل أنها تعرضت الى تطورات سياسية اقترنت بآراء دينية كثيرة بعد الاعتراف وزاد تفاعل المسيحية مع الاحداث بعد أن أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية عام ٣٨٠، مع ما تبع ذلك من تطورات كثيرة تشكل محور دراستنا الحالية التي تهدف الى استكناه الجوانب المختلفة المتعلقة بالمسيحية وشخوصها ومواقفها حتى ولوجها العصر الوسيط.

The spatial space in which Christianity emerged, and the time period during which it emerged, were ideal and had the causes of success and spread. Their emergence in the ancient homeland of the Eastern religions, specifically in the land of Palestine, which possessed a great religious heritage, coincided with a spiritual vacuum on the Roman Empire, Especially after its preachers began to spread their principles and constants in the length and width of the empire. There is no doubt that Christianity has been subjected to many challenges and determinants reflected in one way or another on its doctrines and positions of Roman power, And popular ones. In fact, what happened to Christianity during the period of its spread has had the greatest impact on its principles, constants and institutions, which ended in Christianity to what it became after the recognition of the Roman authorities in ٣١٣. The developments in Christianity were not limited to the pre-recognition period, Political developments accompanied by many religious views after recognition and increased interaction of Christianity with events after it became the official religion of the Roman Empire in ٣٨٠, with the following many developments are the focus of our current study, which aims to acquire various aspects of Christianity and its personalities and attitudes Until the middle age.

كلمات مفتاحية: مسيحية، الكتاب المقدس، الامبراطورية الرومانية، الانجيل، مقارنة اديان

أثر العقيدة اليهودية في تبلور فكرة المسيح الموعود:

مع أن الشطر الأعظم من اليهود استوطنوا فلسطين منذ الألف الثاني قبل الميلاد، لكن نفوذهم فيها تغاير إلى حدٍ بعيد، فكانوا أحقاباً سادة لها، وأحقاباً أخرى خاضعين لنفوذ البابليين والآشوريين والفراعنة والسلوقيين وسواهم، فتشتت جزءٌ كبير منهم في أصقاع متفرقة مثل بلاد الرافدين والجزر الأيونية واسيا الصغرى ومصر وشمالي أفريقيا[١]، وتتابعت نبوات متعددة بين اليهود إبان ازدهار نفوذهم وتضاؤله، ولعل تزامن تعرض اليهود للضغط السياسي والعسكري مع دعوات دينية متعددة شكل منظوراً يهودياً لمكانه اليهود الروحية بوصفهم شعب الله المختار، وضرورة التخلص من واقعهم المتردي وخضوعهم للأمم الأخرى[٢]، فتقوقع اليهود حول عقائدهم بعد أن أضافوا لها مع الزمن إسقاطات نجمت أساساً مما تعرضوا له من تهميش لا يتوافق مع تصورهم لأنفسهم وخصوصيتهم الدينية والحضارية والدور الذي افترضوا أنهم مُكلفين بالاضطلاع به، فاعتقدوا أن هناك مسيحاً

مخلصاً لهم سيعيد لهم عند مجيئه مكانتهم المفقودة، ويحقق أهدافهم المؤجلة كي يسودوا الأمم دينياً وسياسياً[٣]، وألقى الزمن وتتابع النكبات إسقاطات كثيرة على اليهود فابتعدوا تدريجياً عن مبادئ أنبيائهم وكل ما خالف تصوراتهم السابقة، وتشرذموا إلى فرق عقيدية كثيرة تباينت تصوراتها حد التقاطع[٤]، فكان يسيراً أن يتمخض عن ذلك تداعيات سياسية استغلتها بعض العوائل اليهودية المتنفذة لتهيمن على يهود فلسطين وتحكمهم بصورة مباشرة أو من خلال نفوذ إحدى القوى الكبرى، ودأب الزعماء اليهود على توظيف ما سبق لخدمة أهدافهم السياسية وضمان سيطرتهم على أبناء جلدتهم[٥]، وكانت فكرة المسيح الموعود مناسبة جداً لضمان سكوت اليهود واستسلامهم لحكامهم ريثما يظهر المخلص[٦]، وبعد تمكن الرومان من الهيمنة على بلاد الشام ومصر؛ نجح حكام اليهود في الاحتفاظ بنوع من الحكم الذاتي في إطار السيطرة الرومانية، وضمن سير أولئك الزعماء على وفق توجهات روما وسياستها العامة رضا السلطات الإمبراطورية عنهم فراعت خصوصيتهم الدينية والحضارية والسياسية أيضاً[٧].

بيد أن شطراً من تلك الحيثيات التي أوجدت ذلك الفكر وما ارتبط بها من تنظيمات سياسية وكهنوتية؛ تعرض إلى هزات متعددة تزامناً مع هيمنة الرومان على اليهود في ارضي الميعاد (أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات) والشتات (الوجود اليهودي خارج ارض الميعاد) [٨]، بسبب ظهور دعوات إلى إعادة اليهودية إلى نقائها الأول على يد نبيين ظهرا في هذه الفترة، أولهما يحيى بن زكريا او يوحنا المعمدان (عليه السلام) الذي كشف ابتعاد السلطات الزمنية اليهودية عن ثوابت الدين اليهودي، وركز على سوء توظيف تلك السلطات لفكرة المسيح المخلص، وتواطؤ السلطات الدينية معها في ظل حقيقة اقتسامهما النفوذ والمال وتوافق مصالحهما على إبقاء وضع اليهود على حاله[٩]، وكان بديهيا أن تثير دعوات يوحنا المعمدان (عليه السلام) مخاوف السلطة الزمنية فقررت التخلص منه، وأوهمت الناس انه خرج على مبادئ اليهودية (الناموس)، والغريب أن الملك اليهودي ايبا هيرودس الذي قتل يوحنا المعمدان (عليه السلام) حاول قتل داعٍ أخر تزامنت دعوته مع يوحنا هو يسوع المسيح (عليه السلام)[١٠].

ثانيا. ظهور السيد المسيح وبدء دعوته:

حاز السيد المسيح (عليه السلام) خصوصية وامتلك مقومات شتى أهلته لإحراز اثر اكبر واشد وقعاً مما انتهت إليه دعوة يوحنا المعمدان (عليه السلام)، وكان لنجاحه في محوري التأثير الروحي والزمني في اليهود وكشف بطلان سلطاتهم الزمنية والكهنوتية؛ أكبر الأثر في استقطاب اليهود وقناعة الكثير منهم انه المسيح الموعود[١١]، واللافت أن ما رافق السيد المسيح (عليه السلام) منذ ولادته عام ٤ قبل الميلاد إلى رفعه سنة ٢٩ للميلاد؛ أضفى مزيداً من الزخم إليه، فولادته الإعجازية، وما رافقها من علامات ومؤشرات توافقت مع فكرة المسيح المخلص[١٢]، وبحث هيرودس عنه لقتله، والكرامات التي ظهرت على يديه بعد عودته إلى فلسطين، هيأت اليهود لتقبل فكرة انه المسيح المخلص[١٣]. ودأب السيد المسيح على الانتقال بين مدن فلسطين كافة فكانت رام الله والجليل والخليل وأورشليم وسواها مضامير لدعوته[١٤]، لكن هل كانت دعوة المسيح متوافقة مع تطلعات عامة اليهود وتصورهم لمسيحهم المخلص، وهل صبّت تلك الدعوة في صالح السلطات الكهنوتية والزمنية، وهل مثّلت ديناً جديداً، آم

أنها كانت حركة تصحيحية ضمن اليهودية، ولعل هذه التساؤلات وسواها ضرورية لفهم كنه دعوة المسيح وثوابتها ومغزى ما طرأ عليها من متغيرات باعدتها قليلاً أو كثيراً عن اليهودية.

هنا تبين المصادر حقائق منها أن مسار السيد المسيح (عليه السلام) وطقوس ولادته وتعبده كانت يهودية بالكامل، فقد اختتن في اليوم الثامن من ولادته، واطلع على كتب العهد القديم، وتعبد على وفق الطقوس اليهودية ونادى بثوابتها وبديهياتها[١٥]، وركز قبل بعثته وبعدها على ضرورة العودة إلى اليهودية الحقة التي عبر عنها بـ (الناموس)[١٦]، والاهم من كل ما سبق انه كرر مراراً انه بُعِثَ ليهدي خراف إسرائيل الضالة، وان الرب منعه من دعوة الكنعانيين وسواهم من الاميين، وهذا ما أكده الإنجيل ذاته[١٧]، أما وصايا المسيح (عليه السلام) فتوافقت تماماً مع ما أوردته التوراة بل أنها خالفت بصورة لافتة ممارسات المسيحيين فيما بعد، فهو أكد حرمة الخمر ولحم الخنزير والميتة والدم والشرك بالرب، وأن مغزى دعوته تمحور حول تخليص اليهودية مما علق بها من أدران ليست منها في شيء، وتقويم السلطات الزمنية والدينية، وطالما كانت مخاطباته لأعضاء مجلس السنهدرين (مجمع المشيخة أو مجلس المشيرين) ومنافسيهم كبار الكهنة الفريسيين (المعتزلون عن الخاطئين والمتشددون في الحفاظ على شريعة موسى) تنحو هذا المنحى، بمعنى انه انتقد ابتعاد كهنة اليهود وأحبارهم وحكامهم عن ثوابت دينهم وتكوينهم صورة عن الدين تحقق مصالحهم[١٨]، لهذا فإن المسيح (عليه السلام) لم يدعو إلى دين جديد، لكن دعوته تناقضت مع رؤى العامة حول منقذهم، وتعارضت ورغبة السلطات في إبقاء صورة المخلص أمل بعيد المنال يقيّد اليهود ويبقيهم في انتظار يحول دون خروجهم عن توجهات السلطة الثيوقراطية اليهودية، فالذين آمنوا بدعوة المسيح (عليه السلام) من حواريين اثنا عشر[١٩] ورسل سبعون كانوا يهوداً وظلوا كذلك في أماكن تعبدهم وطقوس عباداتهم[٢٠].

إذن فلا غرو أن يصبوا كبار اليهود للتخلص من المسيح (عليه السلام) ووأد حركته في مهدها، واستقطاب عامة اليهود في تنفيذ مخططهم، لذا فإن من ناصب المسيح العداء على طول الخط هم اليهود، ومن حاول قتله واستخدم السلطات الرومانية لتحقيق ذلك هم اليهود فقط[٢١]، ولا ريب أن النجاح كان حليف اليهود الذين حالوا بين المسيح وهدفه في هداية بني إسرائيل إلى دعواه، وابقوا جموع اليهود إلى جانبهم فيما خلا قلة ظلت وفية إلى جانب المسيح (عليه السلام) ودعوته[٢٢].

ثالثا. أوضاع حواريي السيد المسيح حتى ظهور بولس:

مع أن آيات الإنجيل ألقت في روعنا أن الحواريين اتخذوا من حادثة صلب المسيح وقيامته مناسبة للاستمرار بدعوة يسوع (عليه السلام) وتمييز المؤمنين بها عن سواهم من اليهود[٢٣]، لكن الثابت تاريخياً أن الحواريين لم يفكروا في إخراج تلك الدعوة من حيّزها اليهودي، ولم يجرأوا على تجاوز وصايا المسيح وإرشاداته، فدأب الحواريون على ارتياد معابد اليهود وهيكلهم، وظلوا يستشهدون بالتوراة وأسفار بني إسرائيل في دعوتهم إلى المسيح[٢٤]، ولعل في سرد الحواريين لسيرة السيد المسيح وجلّها في بني إسرائيل دليلاً لما ذهبنا إليه، فالحواريون إذن والحال هذا ظلوا يهوداً في تعبدهم ودعوتهم، فالطقوس والكتب المقدسة ومنهج الإرشاد ومسار الدعوة حافظت على مسارها اليسوعي، مع تطور لم يخرج الدعوة من ثوابتها تمثل بإيصال دعوة المسيح إلى يهود الشتات[٢٥].

بيد أن عقبات كأداء واجهت تلك الدعوة وحددت تحركات الحواريين وتأثيرهم، منها الرفض الشعبي والرسمي الذي تعرضوا له في فلسطين[٢٦]، ووقوف السلطات الرومانية مع الزعماء اليهود ضد مناوئيهم[٢٧]، ومن ثم ظل أثر الحواريين محدوداً بأطره الزمنية والمكانية والعقيدية، ولو تفحصنا الأدبيات اليهودية والمسيحية والرومانية بتمعن للمسنا هذه الحقائق ولتجسد لنا مدى الكبت الذي كابده الحواريون من ضغوط شديدة تعرضوا لها من اليهود بصورة خاصة، وكيف عُزلوا عن المجتمع اليهودي وقيدت تحركاتهم في مجامع اليهود وهيكلهم ومعابدهم وأسواقهم[٢٨]، فبطرس ومرقس وبرنابا ولوقا ويوحنا عانوا الآمرين بعد المسيح وافتقدوا حضوره ودعمه الروحي وأمسى وجودهم بين اليهود قليل الفائدة[٢٩]، هنا طرأ تطور مهم على دعوة المسيح تمثل بظهور بولس الرسول الذي قلب معادلة دعوة السيد المسيح أو كاد[٣٠].

رابعا. إسقاطات بولس على دعوة المسيح:

لا ريب أن بولس الطرسوسي (Paul the Apostle) (توفي ٦٤و٦٧) هو الأب الروحي للمسيحية المتمايزة عن اليهودية[٣١]، فلبولس لمسات كثيرة منحت المسيحية ثوابتها وأسسها التي غايرت إلى حد بعيد وصايا المسيح وتوجهاته[٣٢]، واللافت أن بولس لم يكن شيئاً مذكوراً بين رواد المسيحية الأوائل من حواريين ورسل إبان وجود المسيح (عليه السلام)، بل أنه كان أعدى أعداء المسيحية المتوثب للقضاء على رجالاتها، وزادت وطأته على المسيحيين بعد السيد المسيح (عليه السلام)[٣٣]، وهو ما تبينه الأناجيل ذاتها والأسفار المسيحية المقدسة، ورسائل بولس نفسه[٣٤]، ومن ثم نجد أنفسنا في إشكالية يصعب استيعابها دون استجلاء عواهنها، فانتقال بولس من النقيض إلى النقيض يستدعي تفصيلاً لكيفية الانتقال ومداه.

وتخبرنا المصادر المعاصرة أن بولس يهودي من طرسوس أبوه كاهن فريسي مناوئ للمسيح[٣٥]، تلمس بولس خطاه في مطاردة المسيحيين والوشاية بهم حتى انه طلب من كبار كهنة اليهود تزويده بكتب تضمن له دعم السلطات والعوام في مطاردة أتباع المسيح (عليه السلام) خارج فلسطين، واتجه إلى دمشق لتحقيق هدفه[٣٦]، بيد أن ذلك الطريق قُدر له أن يشهد انقلاباً بعيد الغور في حياة بولس ومسار المسيحية، فأثناء الطريق ادّعى بولس أن نوراً تجلى له وقال له: بولس "لماذا تضطهدني" وحين سأله بولس: "من أنت أيها السيد"، أجابه النور: "أنا الرب يسوع"، ثم اخبره النور انه وقع عليه الاختيار لنشر المسيحية، وسيلهمه ما تحتاجه الدعوة مستقبلاً، حينها تحول بولس من اشد الناس عداوة للمسيحية إلى أكثرهم تحمساً لها، وبدأ يدعو للمسيحية في دمشق[٣٧]، وبعد عودته إلى القدس قابل الحواريين واستجدى ثقتهم[٣٨]، وانبرى يدعو للمسيحية بهمة ونشاط في رحلات شملت أصقاع شتى منها آسيا الصغرى واليونان وشرقي أوربا وايطاليا وسواها، وأدخل الآلاف في المسيحية، وترك تراثاً عقائدياً ضمنته رسائله وسفر أعمال الرسل، وظل هذا دأبه حتى وفاته في عهد الإمبراطور نيرون (Nero) (٣٧-٦٨/ ٥٤-٦٨)[٣٩].

بيد أن ما يؤخذ على بولس دخوله الدرامي إلى المسيحية وسواء كانت رواية النور صحيحة أم مختلقة، فإنها منحته سنداً غامضاً في الإدلاء بآراء بعيدة عن وصايا المسيح، والادعاء أنها أوحيت له بطريقة ما، لهذا خالف بولس كثير من ثوابت المسيحية، وحوّلها من دعوة تصحيحية ضمن إطار اليهودية إلى دعوة إلى الأمم الأخرى أي تحوّلها إلى دين جديد، ونبذ كثير من وصايا المسيح (عليه السلام) كتحريم آكل الخنزير والختان[٤٠]، وحين

اعترض عليه الحواريون؛ زعم أن الروح القدس اخبره بذلك، وانبرى يبشر بالمسيحية بعد أن أضاف إليها ما أضافه، ولم يكن بإمكان الحواريين الحد من نشاطاته، مع أنهم انتقدوه وشككوا في منهجه مراراً، لهذا فإن من الممكن إدراج أعمال بولس في إطار تخريب دعوة المسيح (عليه السلام) من الداخل بعد أن أعياه القضاء عليها، بمعنى أن ما قام به تحريف ممنهج للمسيحية بهدف فصلها عن اليهودية لتخليص الأخيرة من الضرر الذي كاد يودي بها[٤١]، ومع اختلاف تفسير دوافع بولس، لكن الثابت انه لاقى نجاحاً منقطع النظير في وضع لمساته وإسقاطاته على المسيحية التي أصبحت ديناً مفتوحاً للأمميين لا يدعو للختان ولا يحرم الميتة ولحم الخنزير والدم، واللافت أن بولس ذاته بيّن حقيقة الدور الذي أداه في تحريف المسيحية حين قال: "صرت للأمميين امميا وللفريسيين فريسياً ... كي اكسب من كل قوم حالاً"، وهو منهج ساسة لا منهج دعاة، أدى إلى اختلاط التعاليم المسيحية بكثير من عوائد معتنقيها الجدد وعقائدهم، وتأثرها بالفلسفة اليونانية وسواها من العقائد المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية[٤٢]، أما بقية دعاة المسيحية من الحواريين وتلامذتهم؛ فقدر لدعواتهم أن تضمحل تدريجياً بسبب اقتصارها على اليهود وتقيّدها بالناموس ليثبت ما حققه بولس ويمحى ما سواه[٤٣].

خامسا. خصائص المسيحية وانعكاساتها على موقف السلطات الرومانية منها:

تميزت المسيحية بتفوق روحي أسبغه عليها السيد المسيح بوصاياه ومنهجه، فالوعد بملكوت الرب والرأفة بالمساكين ونبذ العنف والطبقية والفئوية والدعوة إلى مكارم الأخلاق وسواها من مبادئ لاقت صدى لدى معاصري المسيحية من شتى الملل والديانات[٤٤]، ومع أن المسيحية فقدت جزءاً من سموّها على يد بولس الذي أضاف إليها كثير مما لم تتضمنه وصايا السيد المسيح، زاد من وطأته ما ران على المسيحية من بدع وثنية وفلسفات يونانية وشرقية[٤٥]، لكن عوامل كثيرة تضافرت على تفوق المسيحية على ما سواها من أديان وفلسفات ومسالك صوفية[٤٦].

الحقيقة أن مجمل أوضاع الإمبراطورية صبّت في صالح الدعوة المسيحية، فاستشراء الطبقية حوّل شطراً من سكان الإمبراطورية إلى كادحين لا يكادون يجدون ما يقيم أودهم، تتحكم فيهم طبقات متنفذة، فتصادر جهودهم وخيراتهم، بدءاً برأس السلطة حتى اصغر موظف روماني[٤٧]، فمن كادحي الإمبراطورية وهم سوادها الأعظم تجند الفيالق الرومانية، وتجبى الضرائب المجحفة التي لا تتناسب وقدرتهم الشرائية، فتُفرَض عليهم واجبات متعددة تاركة الحقوق للطبقات النافذة في المجتمع، واللافت أن جلّ هؤلاء محرومين من الجنسية الرومانية مع ما يترتب عليها من امتيازات، مما فتّ في عضد هؤلاء وصوّر لهم الحياة جحيماً ليس من ورائه طائل[٤٨]. وزاد من وطأة تلك المعاناة، عدم وجود دين يلبّي متطلبات أولئك الناس، فأغلب الديانات الوثنية الرومانية واليونانية مجّدت رموز الإمبراطورية وصبّت في مصلحة طبقاتها النافذة، ولبّت الديانات الوافدة من الشرق كالايزيسية[٤٩]، والمثراسية[٥٠]، والزرادشتية[٥١]؛ حاجات النزر اليسير من المجتمع الروماني[٥٢]، فبعض تلك الديانات اختصت بالرجال والبعض الآخر بالنساء، كما أنها أوغلت في محاكاة أساطير، ليس لها نفع في حل مشاكل سواد سكان الإمبراطورية[٥٣]، والفلسفة اليونانية مع سمو أفكارها، لكنها حلقت بعيداً في مثالية جردتها من قسوة الواقع لأنها عالجت المشاكل بتجرد لم يلتفت إلى معاناة سكان الإمبراطورية المضطهدين، ولا غرو أن مدارس الفلسفة كانت حكراً على الأغنياء والمتنفذين الذين وجدوا في تعلم الفلسفة فائدة لهم في الجوانب

الإدارية والتعليمية[٥٤]، أما سواهم فلم يجدوا في ثنائية الجسد والروح والمدينة الفاضلة والأخلاق الرفيعة وسواها من الكلمات البراقة ما يغنيهم من جوع ويجنبهم العوز والخوف[٥٥].

لذلك أمكن القول أن المسيحية ظهرت في وقت كابدت فيه الأغلبية الساحقة من سكان الإمبراطورية معاناة حقيقية أنذرت بحدوث ثورة اجتماعية تدمر انجازات الإمبراطورية ومدنيتها، وأنها عايشت فراغاً روحياً شكّل بيئة حاضنة للمسيحية بمبادئها وإنسانيتها وواقعيتها وبساطة تعاليمها وتجاوبها مع آلام المحرومين وآمالهم في غفران ذنوب في هذه الدنيا بوصفها دار تمحيص ليعيشوا بهناء في ملكوت الرب[٥٦].

تضافرت خصائص كثيرة ساعدت على تفوق المسيحية وانتشارها، منها :

١. سمو المبادئ التي نادت بها المسيحية. فالإخوة الإنسانية في ظل الأبوة الربانية والرأفة بالمساكين والسلام والأخلاق الفاضلة، شكّلت بمجملها بعداً روحانياً تداخل مع آمال الطبقات المسحوقة في المجتمع الروماني، واستشعر آمالها في رؤية تعدت هذه الحياة إلى يوم الدينونة الذي وعدت المسيحية أبناءها بالفوز به بعد عبور قنطرة الحياة التي لا تعدو اختباراً لإيمانهم وتمحيصاً لذنوبهم[٥٧].

٢. استشراء الفراغ الروحي في الإمبراطورية الذي بيّناه أنفاً قد منح المسيحيّة حيّزاً مناسباً للانتشار، بسبب البعد الروحاني والإنساني للعقائد المسيحية، وتجاوب تلك العقائد مع حاجات الشطر الأكبر من سكان الإمبراطورية[٥٨]، على عكس باقي الديانات التي عانت خللاً في عقائدها حال دون نفادها إلى القلوب، وفشل في إقناع العقول، زاد من وطأته تجاوبها مع مصالح بعض فئات الإمبراطورية فحسب، ومما أضاف زخماً إلى ما تقدم تفاعل المسيحية مع الفلسفة اليونانية وبعض العقائد الوثنية، مما قرّبها إلى الكثيرين، بسبب تخليها عن بعض ثوابتها التي تحول دون دخولهم إليها[٥٩].

٣. تحلي المسيحيين الأوائل بصفات الدعاة الحريصين على كسب الجميع إلى دينهم بالقول والفعل، ودأبهم على تسخير إمكاناتهم وطاقاتهم لنشر المسيحية، فكان المسيحيون الأوائل قدوات أثرت في الآخرين في حلّها وترحالها[٦٠].

٤. نبذ المسيحيين لكل ما يحول دون خدمة ديانتهم، وابتعاد أكثرهم عن التكالب على الأمور الدنيوية الحائلة دون نشر عقيدتهم[٦١].

٥. تحدّي المسيحيين العقبات المضادة لجهودهم بضمنها تعذيبهم بأساليب أسهبت المصادر المعاصرة لهم في وصفها، مما ترك انطباعاً مؤثراً لدى الرومان الذين أعجبوا بصلابة إيمان المسيحيين الذين كانوا يواجهون الموت بشجاعة قلّ نظيرها[٦٢].

٦. تأليف المسيحيين جماعة متماسكة متكافلة فيما بينها، الذي وأن أثار مخاوف وشكوك السلطات منهم؛ لكنه حوّلهم إلى قوة مؤثرة وموحدة[٦٣].

٧. تأكيد المسيحية على أن ملكوت الرب ليس في هذه الحياة، بل في يوم الدينونة طمأن السلطات بعض الشيء على أساس عدم اهتمام المسيحية بمظالم هذه الحياة، بل وعدّها ضرورية لتمحيص إيمان المسيحيين[٦٤]، المسيحيين[٦٤]، ولعل في المأثور عن السيد المسيح من إشارات في هذا الصدد سنداً لهذا التوجه، ومنها دعوة

السيد المسيح إلى السلام ونبذ الحرب كقوله: "إذا ضربك أحد على خدّك الأيسر؛ فأعطه خدّك الأيمن"[٦٥]، كما أن قول السيد المسيح: "أعط ما لله لله، وما لقيصر لقيصر"[٦٦]، أعطى دليلاً قاطعاً على عدم وقوف المسيحية ضد السلطات الدنيوية، مع انه في الوقت ذاته بيّن رفض المسيحيين تدخل تلك السلطات في شؤونهم الدينية[٦٧].

٨. تكيّف المسيحية مع التحولات التي شهدتها الإمبراطورية، وتمكّنها من استثمار سياستي الشدة والمرونة التي مارستها السلطات ضدّها لخدمة انتشارها، فكانت الشدة تظهر المسيحيين بوصفهم أبطالاً وشهداء أمام الناس وتضفي مزيداً من القدسية على المسيحية، وسياسة المرونة توفر بيئة مناسبة لانتشار المسيحية[٦٨].

ولا ريب أن يصيغ ما تقدم بمجمل تداعياته العقائدية والسياسية ردود أفعال السلطات الرومانية إزاء المسيحية، وهي لم ترتقي إلى صفة موقف أو سياسة عامة لتبدل بعض حيثيات تلك السياسية تبعاً لشخصية الأباطرة والظروف التي أحاطت بهم، فمنهم من جاهر بعدائه للمسيحية واضطهد أتباعها، ومنهم من حجّمها ووجه مؤسسات الدولة نحو الحدّ منها[٦٩]، وآخرين وجّهوا بضرورة التعامل معها على وفق صيغة الفعل ورد الفعل بمعنى مقابلة المسيحيين بالمثل، في حين تجاهل شطر من الأباطرة المسيحية لسبب أو لآخر، مع أن الإطار العام لمواقف السلطات الرومانية كان بمجمله مناوئاً للمسيحية رافضاً لطروحاتها[٧٠]، وزاد من شقة التباعد بين السلطات الرومانية والمسيحيين جملة عوامل منها:

١. اعتناق الفئات المسحوقة المسيحية، وهذه الفئات تشكل معارضة مفترضة للسلطة الرومانية، لاسيما الفلاحين والعبيد[٧١].

٢. تأليف المسيحيين جماعات مغلقة منعزلة عن باقي الفئات، وابتعاد الشطر الأعظم منهم عن المشاركة في الواجبات الإمبراطورية كالخدمة في الجيش والاشتراك في وظائف الدولة[٧٢].

٣. رفض المسيحيين تقديس آلهة الرومان، وعدم تأليههم الإمبراطور، مع أن السلطات كانت ترى في ذلك بعداً سياسياً يدل على الولاء لروما وسلطاتها[٧٣].

٤. تعارض بعض ثوابت المسيحية وعقائدها مع سياسة الإمبراطورية، وتحفيزها على نبذ طاعتها، بل أن مجمل المبادئ المسيحية تناقضت بصورة أو بأخرى مع خصائص الإمبراطورية[٧٤].

٥. حرص اليهود على تحريض السلطات الرومانية ضد المسيحيين، واستخدام السبل كافة لدقّ إسفين بين السلطات والمسيحيين، من خلال إيهام الرومان أن المسيح قام ضدهم، وإقناع المسيحيين أن الإمبراطورية صلبت مسيحهم[٧٥].

٦. مجيء أباطرة طموحين تبنوا منهجاً لتوطيد عروشهم، وإعادة هيكلة الإمبراطورية على وفق رغباتهم، مما جعلهم وجها لوجه أمام المسيحية التي رفضت التجاوب وسياساتهم، فاستخدموا القسوة المفرطة ضدها[٧٦].

سادساً. جهود السلطات الرومانية للقضاء على المسيحية حتى مطلع القرن الرابع:

كان لا بد لخصائص المسيحية وتوجهات السلطات آنفتي الذكر أن ينتهيا إلى تفاعلاً ثلاثياً ألقى بإسقاطاته على المسيحيين والأباطرة والإمبراطورية برمتها، وكان الإمبراطور نيرون سباقاً في مناهضة المسيحية فافتعل حريقاً لروما عام ٦٤ التهم شطراً من أحيائها وألقى تبعة فعلته على المسيحيين، فاعتقل آلافا

منهم في روما وتفنن في قتلهم بطرق منها تقديمهم للوحوش أو حرقهم بالنيران أمام أهل روما في الستاديوم (الملعب المدرج)، وأمر حكام الولايات بمطاردتهم وتعذيبهم[٧٧]، حتى أن مؤهلات الولاة في تولي الأقاليم استندت إلى مدى قسوتهم في قتل المسيحيين، وسيق المسيحيون أفواجاً لمصارعهم إشباعاً لرغبة الجماهير المتوثبة لرؤية الدماء، فعاش المسيحيون في سراديب تحت الأرض والكهوف تجنباً لذلك الاضطهاد[٧٨]، الذي تكرر في عهد الإمبراطور دوميتيان (Domitianus) (٥١-٩٦/ ٨١-٩٦)[٧٩]، وحين حاول الإمبراطور تراجان (Trajanus) (٥٣-١١٧/ ٩٨-١١٧) توسيع الإمبراطورية وإضعاف الدولة الفرثية؛ وجد في المسيحية عدواً يعرقل بعض أهدافه، فحرّمها بتشريع إمبراطوري، وحكم على كثير من معتنقيها بالموت، وأرسل آخرين إلى المحكمة الإمبراطورية في روما، بيد أنه طلب من حكام ولايات إمبراطوريته التعامل مع المسيحيين على أساس المقابلة بالمثل، وتركهم وشأنهم مالم يناوئوا الإمبراطورية ويتحدّوا سلطاتها[٨٠]، وهو ما أظهرته مراسلات هذا الإمبراطور مع حاكم ولاية آسيا الصغرى بليني الأصغر (Gaius Plinius) (٦١-١١٢)، الأمر الذي اظهر البعد السياسي لموقف تراجان من المسيحية[٨١]، ومع أن الإمبراطور ماركوس اوريليوس (Marcus Aurelius) (١٢١-١٨٠/ ١٦١-١٨٠) تابع تراجان في مناوأة المسيحية، لكن دوافعه كانت أوسع مدى، فمع أن الإمبراطور بذل جهداً ضد أعداء الإمبراطورية وحاربهم في جبهات متعددة ذوداً عنها، ما يدفعنا لتبني دوافع سياسية لموقفه من المسيحية[٨٢]، لكنه كان فيلسوفاً رواقياً بارزاً ترك مؤلفات فلسفية مهمة أبرزها كتاب "التأملات"، ومن ثم فإن منطلقاته الفلسفية دفعته لرفض المسيحية بوصفها تهديداً عقائدياً وفكرياً وسياسياً للإمبراطورية[٨٣].

وسيراً على القاعدة ذاتها في توطيد سلطته عمل الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimius *Severus*) (١٤٦-٢١١/ ١٩٣-٢١١) بالتوازي مع إقرار الأمن في إمبراطوريته على مناوأة المسيحية، بسبب رغبته في إخضاع الإمبراطورية إليه، بوصفه إلهاً حاكماً، ما دفعه لإصدار قرار بإنشاء تمثال له في روما وإجبار المواطنين للسجود له، وحين أبدى المسيحيون رفضاً لذلك المرسوم عذبوا أشدّ العذاب وحرّقت كتبهم المقدسة وهدّمت كنائسهم وقتل العديد منهم[٨٤]، واستغل الإمبراطور ديكيوس أو دقيانوس (*Decius or* Dakyanus) (٢٠١-٢٤٩/٢٥١-٢٥١) عداء أتباع الديانات الوثنية للمسيحيين فأصدر مرسوماً لقمع المسيحية عام ٢٥٠، ليبدأ اضطهاده الشهير للمسيحيين الذي تم على المستويين السياسي والشعبي معا [٨٥]، وكان دافع ديكيوس من وراء ذلك استعادة المجد القديم لروما، التي اعتقد ديكيوس أنه خبا بسبب إهمال الشعب للآلهة القديمة، ولابد من العودة إلى الدين القديم لاستعادته وتوطيد السلطة الإمبراطورية، لذا جهد ديكيوس للقضاء على المسيحية التي حولت الكثيرين عن ممارسات عباداتهم التقليدية المتواشجة مع مصالح الإمبراطورية[٨٦]، وقد اتخذت تدابير كثيرة لدفع الأساقفة إلى أداء طقوس تأليه الإمبراطور، طبقاً لمرسوم إمبراطوري نصه: " قمت بالتضحية وسكبت السكائب، وذبحت الذبائح. والتمس أن تشهدوا بذلك والسلام"[٨٧].

وبعد تسنم دقلديانوس (Diocletianus) (٢٤٤-٣٠٥/ ٢٨٤-٣٠٥) عرش الإمبراطورية؛ اتبع سياسة تسامح ديني إزاء المسيحيين[٨٨]، لكن سياسته تلك شهدت تحولاً أواخر حكمه، بسبب قناعته أن مبادءهم لا تنسجم ورغبته في حكم الإمبراطورية، حكماً ثيوقراطياً يضمن له استحواذاً على مؤسساتها كافة[٨٩]، فاصدر

أربعة مراسيم تحث على اضطهادهم بين عامي ٣٠٢ و٣٠٥، وتنفيذاً لتلك المراسيم؛ حرّقت الأناجيل والكتب الدينية ومُنِع المسيحيون من التجمع وتأدية صلواتهم وطقوسهم الدينية، وقتل الكثير من رجال الدين المسيحي وصودرت أملاك الكنيسة[٩٠]، ولشدة ما لاقاه المسيحيون في عهده أطلقت مصادرهم عليه عصر الشهداء، وكان وقع الاضطهاد على مسيحيي مصر من الشدة بحيث اتخذوا من تولي دقلديانوس الحكم عام ٢٨٤ بداية للتقويم القبطي[٩١]، واصدر مكسيميان بعد تسنمه عرش الإمبراطورية مجدداً منشوراً عام ٣٠٨ في محاولة يائسة لمحو المسيحية يقضي ببناء مزيد من مذابح الأوثان وتقديم الجميع قرابين وهدايا لها، وإجبارهم على الاغتسال بدمائها، واستمر العمل بهذا مدة سنتين خيّر المسيحيون أثناءها بين تنفيذ المنشور أو القتل[٩٢]. وشرع بعده ابنه مكسيميانوس (Maximianus) (٢٤٠-٣١٣/ ٣٠٥-٣١٣) بإقامة هياكل في كل مدينة، وعين كهنة للأصنام ومنحهم الامتيازات، تزامناً مع الاضطهاد الذي باشره القيصر جاليريوس (Galerius) (٢٥٠-٣١٠/ ٢٨٦-٣٠٥)، ضدهم في مناطق نفوذه، لكن تلك الاضطهادات كلها لم تنجح في القضاء على المسيحيين وأمدتهم برغبة عارمة في التخلص من هذا الواقع[٩٣]، الأمر الذي أحسن الإمبراطور قسطنطين الكبير (Constantine the Great) (٢٧٢-٣٣٧/ ٣٢٤-٣٣٧)، الإفادة منه بعد تدهور أوضاع الإمبراطورية وتنافس قوى متعددة للفوز بعرشها[٩٤].

سابعا. انعكاسات مرسوم ميلان وسياسة قسطنطين الكبير على المسيحية:

عانت الإمبراطورية قبيل تسنم قسطنطين عرشها حروباً أهلية بين مراكز قوى متعددة تقاسمت أراضيها، وكان قسطنطين الطرف الأضعف بين تلك القوى، حتى أن قواته الزاحفة من بريطانيا وبلاد الغال قصُرت عدداً وعدّة عن قوات خصمه ماكسنتوس (Maxentius) (٢٧٨-٣٠٦/٣١٢-٣١٢) في ايطاليا، وعند اصطدام الجيشين في قنطرة ملفيا قرب روما حدث أمر خطير قُدر له أن يكون نقطة تحول في مسار الديانة المسيحية، فأثناء المعركة زعم قسطنطين انه رأى نوراً في السماء في وسطه صليب مكتوب تحته بفضل هذا ستنتصر، فأمر قسطنطين بجعل الصلبان رايات لجيشه[٩٥]، وبعد انتصاره اصدر مرسوماً في مدينة ميلان عام ٣١٣ اعترف بالمسيحية ديناً رسمياً كباقي الديانات الأخرى المعترف بها في الإمبراطورية، وأعاد للمسيحية كنائسها وودائعها المختلفة[٩٦].

ولو تتبعنا دوافع قسطنطين ألفينا أنفسنا أمام تفسيرات متباينة، فالبعض وضعوا بعداً روحياً خلاصته أن الإعجاز الذي لاحظه قسطنطين متمثلاً بمعجزة ظهور الصليب في السماء وما تبعه من انتصار جيشه على عدوه أقنع قسطنطين بقدسية الدين المسيحي، فقرر الاعتراف به بوصفه دين الحق، أو تعبيراً عن امتنانه لإله المسيحيين الذي وعد قسطنطين بالاعتراف بدينه في حال انتصاره، ويستدل أصحاب هذا الرأي بقرائن من بينها حسن معاملة قسطنطين للمسيحيين، وتوسطه فيما شجر بينهم، وحرصه على توحيد كلمتهم، ورأفته بهم، وعنايته بمؤسساتهم وكنائسهم[٩٧].

ولنا في تفنيد هذا الرأي استدلالات منها، أن اعتراف قسطنطين بالمسيحية كان لأغراض سياسية بحتة، فكفة قسطنطين كانت غير راجحة في مواجهة أعدائه، وكان مجبراً على نيل دعم جزء من سكان الإمبراطورية ولم يكن هناك بديلاً عن المسيحيين الذين ذاقوا الأمرين على يد الأباطرة السابقين، وكان بإمكانه كسبهم مقابل

امتيازات بسيطة، ولو أضفنا إلى ذلك حقيقة أن المسيحية كانت اكبر ديانات الإمبراطورية وعدد معتنقيها يزيد عن عشر سكانها، وأن تشبث قسطنطين بالمسيحية قبيل معركة ملفيا ضمن له بعداً عقائدياً دفع جنده الذين شكّل المسيحيون سوادهم الأعظم إلى الاستماتة في القتال بعد أن ارتبط مصير دينهم بنتيجة المعركة[٩٨]، ولو تجاوزنا كل هذا إلى ما حصل بعيد المعركة للاحظنا أن قسطنطين لم يفعل شيئاً سوى الاعتراف بالمسيحية بوصفها احدى ديانات الإمبراطورية الرسمية، ولهذا الأمر دلالات أولها أن قسطنطين أراد حسم مشكلة المسيحية المستشرية منذ قرون دون حل بعد إدراكه فشل وسائل سابقيه في وأدها، لاسيما أنه وجد في المسيحيين أنصاراً أوفياء وجب عليه الحفاظ على ولائهم لاستقرار حكمه[٩٩]، ولعل في صيغة الاعتراف برهاناً على ما ذهبنا إليه، فقسطنطين لم يجعل المسيحية ديناً رسمياً للدولة إنما جعلها على مستوى واحد مع الديانات الوثنية الأخرى في الإمبراطورية، كما انه شخصياً لم يعتنق المسيحية حتى نهايات عمره حين عُمِدَ أثناء احتضاره، وظل محتفظاً بلقبه الوثني الكاهن الأعظم، وحرص طوال حكمه في براعة سياسية قل نظيرها أن يكون على مسافة واحدة من الجميع[١٠٠].

ويمدنا الخلاف العقائدي الذي أصاب المسيحيين بسبب خلاف القسين الاسكندريين آريوس (Arius the Heretic) (٢٥٦-٣٣٦) واثناسيوس (Athanasios) (٢٩٣-٣٧٣) عام ٣٢٣ بدليل قاطع على ماهية المسيحية لدى قسطنطين، فقد حاول الأخير بدءاً تجاوز خلافهما العقائدي لأسباب سياسية خلاصتها وحدة المسيحيين في عموم الإمبراطورية، وحين استعصى عليه الأمر دعا إلى عقد أول مجمع مسكوني في نيقية لحسم الخلاف، واللافت أن قسطنطين أدار جلسات ذلك الاجتماع مع أنه لم يكن مسيحياً، كما أن رأيه في حسم الخلاف استند إلى اعتبارات سياسية فلم يراعي تبني الشطر الأعظم من المؤتمرين لآراء آريوس الداعية إلى الوحدانية، ورجح عليها آراء اثناسيوس الثالوثية بسبب تواؤمها مع العقائد الوثنية في إمبراطوريته، ونفى آريوس وأنصاره إلى أماكن متفرقة من الإمبراطورية، وأمر بإحراق كل الأناجيل والكتابات المسيحية التي لا تنسجم وآراء اثناسيوس[١٠١]، وما حصل بعد ذلك دليل على البعد السياسي لتلك الإجراءات، فبعد أن نجح الأسقف الآريوسي يوسيبيوس (Eusebius) (٢٦٣-٣٣٩) في إقناع قسطنطين بأحقية الاريوسيين ألغى قسطنطين قراراته السابقة، وأعاد آريوس وأنصاره إلى مواقعهم السابقة ونفى اثناثيوس ومشايعيه، واعترف بالآريوسية مذهباً صحيحاً في المسيحية دون سواها، وعلى فراش موته عُمد على مذهب آريوس[١٠٢]، كما أن في تدشينه عاصمة جديدة شرق الإمبراطورية حيث أكثرية السكان من المسيحيين دليل على ميل قسطنطين المتزايد للمسيحية ونبذه الوثنية، وإضعاف الشطر الغربي الذي تشبث بها أكثر من غيره[١٠٣].

ومع كل مآخذنا على قسطنطين لا يمكن نكران فضله على المسيحية التي وجدت في حكمه حيزاً مناسباً للانتشار بعد انضمام عشرات الآلاف إليها لزوال خوفهم من ردع السلطات، كما أن انتشار كنائس المسيحية ومؤسساتها الدينية الأخرى منحها فرصاً أفضل في التأثير العقائدي والسياسي في عموم الإمبراطورية، ما يدفعنا للقول أن مرسوم ميلان كان بمثابة البداية الحقيقية لانتصار المسيحية على سواها من ديانات الإمبراطورية[١٠٤].

ثامنا. المسيحية في عهد خلفاء قسطنطين:

كشف إجراء قسطنطين الكبير بتقسيم الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة قصوراً كبيراً في نظرته للأمور، وتراجعاً واضحاً في تحول مفهوم الإمبراطورية من مؤسسة عامة لا تقبل القسمة إلى ضيعة تقسم بين أبناء الإمبراطور، وكان ذلك التقسيم بين أبناء قسطنطين وهم قسطنطين الثاني (Constantinus II) (٣١٦-٣٤٠/ ٣٣٧-٣٤٠) وقسطنطيوس (*Constantius I*) (٢٥٠-٣٠٦/٢٩٣-٣٠٥) وقسطانز (Constans) (٣٢٣-٣٥٠/ ٣٤٨-٣٥٠) منذراً بنشوب حرب داخلية فيما بينهم لإعادة توحيد الإمبراطورية[١٠٥].

وكان للمذهب السائد في ممتلكات كل منهم أثره في تبنيهم المذهب الرسمي للدولة فالإمبراطوران قسطنطين وقسطنطيوس تبنيا المذهب الآريوسي واضطهدا أعدائه، أما الإمبراطور قسطانز فقد اعتنق الاثناسيوسية ودافع عنها، مما أضفى على تنافس الأخوة بعداً عقائدياً[١٠٦] انتهى إلى حروب أوصلت قسطانز باسم قسطنطين الثالث (Constantinus III) (٣٤٨-٣٥٠) إلى توحيد الإمبراطورية عام ٣٥٠[١٠٧]، ولما كان الإمبراطور دون عقب فقد ورثه بعد وفاته عام ٣٦١ ابن عمه جوليان (Iulianus) (٣٢٣-٣٦١/٣٦٣-٣٦٣) الذي تأثر بالفلسفة اليونانية وقرر اضطهاد المسيحية وإعادة أمجاد الديانتين الوثنيتين الرومانية واليونانية تدريجياً لقوة الاتجاه المسيحي في مفاصل الدولة، واستندت خطته إلى إسناد المناصب السيادية في الدولة والجيش تدريجياً إلى الوثنيين، وشمول ديانات روما القديمة بدعم الدولة على عكس المسيحية[١٠٨]، لكن تلك الجهود لم تثمر عن شيء لاسيما أن مدة حكم جوليان الذي سماه المسيحيون المرتد امتدت عامين فقط وانتهت بمقتله عام ٣٦٣ في معركة ضد القوات الساسانية، لتبقى المسيحية متقدمة على ما سواها من ديانات الإمبراطورية فعلياً حتى مجيء ثيودوسيوس (Theodosius I) (٣٤٧-٣٧٨/٣٩٥-٣٩٥) الذي حسم الأمر نهائيا لصالح الديانة المسيحية[١٠٩].

تاسعا. المسيحية دين رسمي للإمبراطورية الرومانية:

استأثر الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير بأهمية بالغة للمساته الكثيرة في تاريخ الإمبراطورية والديانة المسيحية على حدٍ سواء، فلهذا الإمبراطور فضل كبير على المسيحية يضاهي ما لقسطنطين الكبير عليها، فقد أعلنها ديانة رسمية للدولة عام ٣٨٠ وتبنى مناوأة الديانات المناوئة لها، لاسيما الديانات الوثنية التي حاربها بشدة وحطم معابدها أو حوّلها إلى كنائس، وقضى عام ٣٩٤ على الحركة الوثنية التي قادها مدرس البلاغة يوجينيوس (*Eugenius*) (؟-٣٩٢/٣٩٤-٣٩٤) والجنرال الفرنسي اربوجاست (Arbogast) (٣٤٠-٣٩٤) نصرة للوثنية، وأجهز على ما تبقى من معابد، لتغدو المسيحية سيدة الموقف في إمبراطوريته، وضمن المسيحية ناصر الاثناسيوسية ضد الآريوسية[١١٠]، ولهذا الإمبراطور انعكاس أخر على الإمبراطورية حدد مصيرها إلى حد بعيد تمثل في وصيته بتقسيمها بين ولديه، وهو ما تم بعد وفاته عام ٣٩٥ لتغدو الإمبراطورية شطرين شرقي إمبراطوره اركاديوس (Arcadius) (٣٧٧-٣٩٥/٤٠٨-٤٠٨)، وغربي إمبراطوره انوريوس (Honorius) (٣٨٤-٣٩٣/٤٢٣-٣٢٤)، مع ما تبع ذلك من آثار مباشرة وغير مباشرة على المسيحية[١١١].

عاشرا. الانعكاسات السياسية لتقسيم الإمبراطورية وسقوط الشطرالغربي على المسيحية:

كان لتقسيم الإمبراطورية تداعيات كثيرة على المسيحية، منها انه فصل الأسقفيات الشرقية عن الغربية وبهذا أنهى الوحدة الدينية للإمبراطورية عملياً، بسبب اختلاف المرجعيات السياسية للشطرين وما تبعها من اختلاف الظروف التي أحاطت بالكنيسة[١١٢]، فالظروف السياسية في الشطر الشرقي مكنت السلطة الزمنية من الاستحواذ على السلطة الدينية فيها، وأمست كل الأسقفيات التابعة لها خاضعة لأوامرها حتى أن المجامع الدينية كانت ترسم من خلال سلطات الشطر الشرقي، في حين وجدت الكنيسة في ضعف سلطات الشطر الغربي متنفساً مكّنها من اخذ الأمور الدينية وشطراً من الأمور السياسية على عاتقها[١١٣]، ويكفينا هنا إيراد حادثتي خروج البابا ليو العظيم (Papa Leon) (٣٩٠-٤٦١/٤٤٠-٤٦١) بدل الإمبراطور لملاقاة اتيلا (Atila) (٣٩٥-٤٥٣) عام ٤٥٣، وخروجه لملاقاة ملك الوندال جيزريك (Gaiseric) (٤٠٠-٤٧٧) عام ٤٥٥ دليلين قاطعين على مدى هيمنة الكنيسة في الشطر الغربي[١١٤]، وتحضرنا أيضاً وثيقة أثبت تزويرها المؤرخ لورنزو فالا (Lorenzo Valla) (١٤٠٧-١٤٥٧) فيما بعد أسمتها الكنيسة هبة قسطنطين (The *Donation of Constantine*)، خلاصتها أن الإمبراطور قسطنطين الكبير وهب الشطر الغربي إلى البابا قبل ذهابه إلى عاصمته الجديدة القسطنطينية، الأمر الذي دل على مدى النفوذ الذي حصلت عليه الكنيسة الغربية ورغبتها في توفير السند الشرعي له[١١٥].

الآمر الآخر الذي تأتى من تقسيم الشطرين انتشار الآريوسية في جزء كبير من الشطر الغربي بسبب تمكن الجرمان الآريوسيين من احتلال الجزء الأكبر من ذلك الشطر، مما وضع الكنيسة الغربية في موقف لا تحسد عليه[١١٦]، أجبرها على التعامل مع الأمر الواقع، واخذ كثير من الأمور السياسية على عاتقها، كما أن ما تعرض له السكان الرومان من قتل وترويع وجوع ألقى على الكنيسة عبئاً مضافاً تمثل بإيواء شطر من أولئك ومساعدتهم قدر الإمكان[١١٧]. بيد أن كل ما سبق لم يفت في عضد الكنيسة بل منحها ثقة بالنفس مكّنتها من التعامل مع السلطات الزمنية والدينية في الشطر الشرقي من منطلق الثقة بالنفس، بوصفها المرجعية الدينية العليا للمسيحية برمتها، الذي كانت للكنيسة الغربية استدلالات عقائدية عليه تضافرت مع الظروف السياسية التي تعرضت لها[١١٨].

حادي عشر. الهرطقة والمجامع المسكونية التي حرمتها حتى سقوط الشطر الغربي:

شهدت المسيحية إبان حقبة اضطهادها إضافات عقائدية كثيرة استهلها بولس وأضاف إليها آخرون على مدى ثلاث قرون[١١٩]، وكان للاضطهاد الذي ألم بالمسيحية أثراً في ضعف سيطرة مرجعياتها الدينية على أتباعها الذين تحكمت في كل منهم ظروفاً سياسية واجتماعية وعقائد سائدة في ولاياتهم، زاد من وطأة ذلك عدم قدرة أقطاب المسيحية على وضع ثوابت عقائدية ثابتة لدينهم الذي طغى انتشاره على ثبات عقائده[١٢٠]، وظل الحال هكذا حتى إبرام مرسوم ميلان الذي مكن الكنيسة من استجماع أنفاسها وتثبيت عقائدها، وكان لما سبق أثر في ظهور حركات خالفت إجماع الكنيسة بصورة أو بأخرى، أطلقت عليها الأدبيات المسيحية حركات هرطقية منشقة عن العقائد المتفق عليها في المجامع المسكونية التي اعترفت بها الكنائس المسيحية الكبرى[١٢١]، وقد ظهرت بعض الحركات المهرطقة قبل مرسوم ميلان، كالبوليقانية التي نادى بها أسقف أنطاكية بولس

الشمشاطي عام ٢٦٠ ومفادها أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية، واقنوم الله واحد لا كلمة ولا روح قدس أي وحدانية خالصة، فعقد مجمعاً في أنطاكية عام ٢٦٨ حكم بهرطقته ولعنه وخلعه[١٢٢].

لكن التشظي الكبير الذي حل بالمسيحية وظهور عشرات الحركات الهرطقية فيها جاء بعد مرسوم ميلان الذي سهل على السلطات الكنسية الاجتماع وتقرير ثوابت المسيحية فظهرت خلافات متعددة بين هؤلاء انتهت إلى مجامع مسكونية حكمت على بعض الآراء بالخروج على العقيدة الرسمية المعترف بها من قبل تلك المجامع، مما يشير إلى أن حقبة اضطهاد المسيحية دفعت معتنقيها ورجالاتها إلى التركيز على نشرها دون الخوض بعيداً في عقائدها منعاً للفتنة في تلك الظروف التي اقتضت تكاتف المسيحيين واتفاقهم، بمعنى أن الاضطهاد كان عاملاً موحداً للمسيحيين[١٢٣]، أما بعد انتهاء الاضطهاد فقد تحول شطر من هموم الكنيسة نحو النوع لا الكم أي تقرير عقيدة الكنيسة ومحاربة الآراء التي لا تعترف بها السلطات الدينية العليا، واللافت أن كل الحركات المهرطقة ناقشت ماهية المسيح وعلاقته بالرب، وتراوحت بين الوحدانية والإشراك، كما أنها تتابعت بسرعة لافتة بعد مرسوم ميلان، بدءاً بهرطقة آريوس عام ٣٢٣ ومفادها أن الابن ليس من جوهر الأب وهو مخلوق مصنوع له بداية فهو بشر[١٢٤]، فعقد مجمع نيقية في ٢٠ أيار ٣٢٥ لمناقشة ذلك الرأي وانتهى إلى أن الأب والابن من نفس الجوهر وهما إلهين بمعنى اقنومين للإله نفسه، لكنه لم يتعرض إلى الروح القدس[١٢٥].

وسرعان ما أمست هذه النقطة مثار جدل ونقاش عقيمين تمخض عنهما هرطقات متعددة كهرطقة أسقف لادوكية ابولوناريوس (Apollinarius) (٣١٠-٣٩٠) الذي مع اتفاقه مع مجمع نيقية في نقد وحدانية آريوس، لكنه اعتقد أن المسيح لا يتضمن طبيعتين لاهوتية وبشرية لأن الطبيعة اللاهوتية هي كلمة الرب (اللوغوس) ونتاج امتزاج اللوغوس مع روح بشرية تناقض بين إرادة اللوغوس الكلمة والروح البشرية المخطئة، ومن ثم فان الكلمة تجسدت في جسد المسيح دون روحه، مما أثار حفيظة معظم أساقفة الكنائس على أساس أن المسيح لم يأت مخلصاً للأجساد بل للأرواح أيضاً[١٢٦]، وتم نقد أراء ابولوناريوس في مجمع الإسكندرية عام ٣٦٢، ولعن وفرقته في مجامع روما عام ٣٧٧، والإسكندرية عام ٣٧٨، ثم مجمعي أنطاكية الإقليمي عام ٣٧٩، والقسطنطينية المسكوني الأول عام ٣٨١[١٢٧]، وأكملت آراء مقدنيوس (St Macedonius) (ت٤٣٠) ما بدأه آريوس لأنها عدت الاقنوم الثالث من الثالوث وهو الروح القدس مخلوقاً، وهو أيضاً نفي ألوهية المسيح، لكن مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ نفى ذلك وأكد أن الروح القدس بوصفه روح الرب لا يمكن أن يكون مخلوقاً[١٢٨]، وأن هناك ثلاثة اقانيم للرب، الأب والابن والروح القدس تثليث في وحدانية ووحدانية في تثليث[١٢٩].

والغريب أن أتفاق الأسقفيات الكبرى الثلاث روما والقسطنطينية والإسكندرية حول عقيدة الثالوث سرعان ما شابتها اختلافات جوهرية، استهلتها أسقفية القسطنطينية حين أعلن أسقفها نسطوريوس (Nestorius) (٣٣٦-٤٥١) أن للمسيح طبيعيتين (إلهية) اكتسبها بعد ولادته وفارقته بعد صلبه، و(بشرية)، ومن ثم لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين وهو نفي ألوهية المسيح بوصفه الاقنوم الثاني[١٣٠]، ومع أن مجمع افسوس عام ٤٣١ لعن نسطور وأكد أن هناك طبيعتان بشرية والهية في المسيح ومشيئتان في اقنوم واحد، لكن ظهر لنسطوريوس أتباع سموا النساطرة آمنوا بمذهب الطبيعتين، ولم تحل جهود السلطات البيزنطية دون انتشار

هرطقتهم[١٣١]، وفي هذه الجزئية بالذات وقعت أسقفية الإسكندرية في شرك أوقعت فيه الكثيرين سابقاً بوصفها لاعباً أساسياً ناوأ الحركات الهرطقية، حين أكد أسقفها ديسقورس (Dioscorus) (ت٤٥٤) وحدة الطبيعتين البشرية والإلهية في السيد المسيح، وجاراه رجال أسقفية الإسكندرية مما انتهى إلى مذهب الطبيعة الواحدة (المنوفستية أو Monophysite)[١٣٢]، فاعترض أسقفي القسطنطينية وروما وعقد مجمع خلقدونيا في تشرين الأول عام ٤٥١ برئاسة أسقف القسطنطينية الذي لعن ديسقورس ونفاه إلى فلسطين، وأكد أن للمسيح طبيعتين لاهوتية وبشرية واقنوم واحد[١٣٣].

ولم يعني كل ما أوردناه اقتصار الهرطقة على فكرة الثالوث، فقد ظهرت حركات لكن قلة عددها وضآلة تأثيرها قللت أهميتها إلى حدٍ كبير، أشهرها البلاجيوسية (Palagianism) التي نادت بحرية الإرادة وأكدت أن الإنسان مخيّر، وأنكرت توارث الخطيئة الأولى من آدم، وبهذا ضربت عقيدة فداء المسيح عند صلبه في الصميم[١٣٤]، فعدّها البابا انوسنت الأول (Innocentius I) (؟-٤٠١/٤١٧-٤١٧) هرطقة عام ٤٠٢، وثبت مجمع افسوس هذا الأمر عام ٤٣١، ولعن بلاجيوس، وأكد أن الخطيئة الأولى احد أسباب صلب السيد المسيح ليتحقق خلاص البشرية من تلك الخطيئة[١٣٥]، وهناك الهرطقة الدوناتية (Donatonic) التي ركزت على ضرورة نزاهة رجال الدين، وعدم قبول المرتدين إلى حضيرة المسيحية، ونادت بالمساواة بين الأسياد وخدمهم[١٣٦].

الهوامش

(١) ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى أخر غزو صليبي ١٢٢٠ ق.م – ١٣٥٩، ط٣، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٣ – ٩٦.

(٢) رجا عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فكرهم نشاطهم سلوكياتهم، دمشق، ٢٠٠٤، ص٢٢١ – ٢٢٤.

(٣) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة "قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية"، ترجمة محمد بدران، ج٣، ص١٨١ – ١٨٢.

(٤) غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة : عادل زعيتر، القاهرة، ٢٠١٢، ص٤٧.

(٥) اندريه لومير، تاريخ الشعب العبري، تعريب: انطوان الهاشم بيروت، ١٩٩٩، ص٨٦ – ٩٦.

(٦)) اشعياء : (٤/٢)، (١١/١٢) ؛ حزقيال : (٩/٣٩)

(٧) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة "قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية"، ج٣، ص١٦١ – ١٦٣.

(٨) اندريه لومير، تاريخ الشعب العبري، ص٩٩ – ١٠٠.

(٩) A. Edersheim, Op. Cit., Vol. I, P. ٢٥٥.

(١٠) عبد الفتاح حسين الزيات، ماذا تعرف عن المسيحية، ط٣، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٥ – ٢٧.

(١١) احمد شلبي، المسيحية، القاهرة، ١٩٨٨، ص٥٢ – ٥٤.

(١٢) محمد عطا الرحيم، عيسى المسيح والتوحيد، ترجمة: عادل حامد محمد، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٩ – ٢٠.

(١٣) محمد ابو زهرة، مقارنات الديانات، القاهرة، ١٩٧٤، ص٣٢ – ٣٥.

(١٤) يراجع للتفصيل: الأب متي المسكين، المسيح حياته اعماله، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥١ – ٣٣٩.

(١٥) جورج فورد، سيرة السيد المسيح، ج١ "ولادته وصبوته"، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٥ – ٢٦؛ احمد ديدات، هل المسيح هو الله، ترجمة: محمد مختار، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٨ – ١٩، ٣٥.

(١٦) انجيل متي (٥ : ١٧).

(١٧) انجيل متي (١٥ : ٢٤).

(١٨) الأب متي المسكين، المسيح حياته اعماله، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٦٠ – ٢٦١؛ جورج فورد، سيرة السيد المسيح، ج١ "ولادته وصبوته"، ص ١٧.

(١٩) تلامذة السيد المسيح وهم: أندراوس: (صياد من بيت صيدا في الجليل وهو أول رسول دعاه يسوع وكان قبل ذلك تلميذ يوحنا المعمدان)، وسمعان بطرس: (أخو أندراوس وهو صياد ايضا)، وفيلبس، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا بن زبدي: (الملقب بإبن الرعد وأخو يعقوب)، و

برثولماوس او نثنائيل: (صديق فِيلُبُّسُ)، ويعقوب بن حلفي: (يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ)، ويهوذا لبّاوس الملقب تدّاوس: (أخو يعقوب بن حلفى وذُكر اسمه كيهوذا بن حلفى في بعض آيات الإنجيل وهو ليس يهوذا الإسخريوطى)، ومتى العشار: (من كفر ناحوم في الجليل، وكان عشّار يجمع الجباية)، وتوما : (كان يقال له التَّوأم أيضاً إذ أن اسمه مشتق الاسم الآرامي "توماس" الذي يعنى التَّوأم)، وسمعان القانوي: (ويلقب أيضاً بسمعان الغيور)، فضلا عن يهوذا الاسخريوطي: (الذي باع يسوع بثلاثين من الفضة، وتم استبداله بماتياس بعد موته منتحراً). ابراهارد ارنولد، المسيحيون الاوائل، ص ٤٧ – ٤٨.

(٢٠) الأب متي المسكين، المسيح حياته اعماله، ص ٣١٧ – ٣١٨.

(٢١) احمد ديدات، مسألة صلب المسيح، ترجمة: علي الجوهري، القاهرة، بلا تاريخ، ص ٥٤ – ٦٠.

(٢٢) جورج فورد، سيرة السيد المسيح، ج٧ "موته وقيامته المجيدة"، ص ٤٢ – ٤٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣١ – ٤٣.

(٢٤) هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: سميرة الزين، بيروت، ١٩٩١، ص٥٩ – ٦٠.

(٢٥) ول ديورانت، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤١ – ٢٤٤.

(٢٦) هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ص٦٢ – ٦٣.

(٢٧) توفيق الطويل، الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام، القاهرة، ١٩٩١، ص٣٣، ٤٢.

(٢٨) نيافة الأنبأ يوأنس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، القاهرة، ١٩٢٣، ص٦٧ – ٧٢.

(٢٩) اثناثيوس فهمي جورج، الرسل الأطهار الاثني عشر تلاميذ السيد الرب، انكلترا، ٢٠٠٥، ص١٨ – ٢٢.

(٣٠) محمد ابو زهرة، المصدر السابق، ص٧٢.

(٣١) احمد شلبي، المصدر السابق، ص١١١.

(٣٢) شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٢٠– ١٢١.

(٣٣) محمد ابو زهرة، المصدر السابق، ص٧٢.

(٣٤) اعمال الرسل، ٢٣ : ٦ ؛ غلاطية ١ : ١٣ – ١٤.

(٣٥) احمد شلبي، المصدر السابق، ص١١١.

(٣٦) عبد الفتاح حسين الزيات، المصدر السابق، ص٥٧ – ٥٩.

(٣٧) هيم ماكبي، المصدر السابق، ص٧٧ – ٧٨.

(٣٨) اعمال الرسل، ٢٣ : ٦ ؛ غلاطية ١ : ١٣ – ١٤.

(٣٩) سمير فوزي جرجس واخرون، موسوعة من تراث القبط، مج١، القاهرة، ١٩٧٧،ص ٤٣ – ٤٨.

(٤٠) احمد شلبي، المصدر السابق، ص١١١ – ١١٧.

(٤١) سعود الخلف، دراسات في الاديان: اليهودية والنصرانية، الرياض، ١٩٩٧،ص٢٢٢.

(٤٢) عبد الفتاح حسين الزيات، المصدر السابق ، ص٦٢ – ٦٣.

(٤٣) شارل جنيبر، المصدر السابق ، ص١٢٦.

(٤٤) إنجيل لوقا (٤ : ٤٣) ؛ إنجيل مرقس (١ : ١٤).

(٤٥) احمد شلبي، المصدر السابق، ص١١٥ – ١١٦.

(٤٦) نورمان. ف. كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة د. قاسم عبدة قاسم، ج١، ص٥٢ – ٥٣.

(٤٧) G. Sabine, A history of political theory, New York, ١٩٦٤, p.٥١ – ٦٢.

(٤٨) E. Gibbon, The history Dicline and fail of the Roman Empire, Vol. IV, London, ١٩٠١, p.٦٣ – ٧٥.

(٤٩) ديانة مصرية اعتنقها اليونانيون ايضا.

(٥٠) ديانة فارسية شاعت عند الرومان قبل المسيحية.

(٥١) ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية، كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية.

(٥٢) أ. ب. تشارلز وورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجيس، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٦١.

(٥٣) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٨١، ص٥١ – ٥٢.

(٥٤) تشارلز وورث، المصدر السابق، ص١٧١.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٧١.

(٥٦) محمود محمد الحويري، المصدر السابق، ص٥٥.

(٥٧) ايبرهارد ارنولد، المسيحيون الاوائل، القاهرة، ٢٠٠، ص ٢٨ – ٣٠.

(٥٨) نورمان. ف. كانتور، المصدر السابق، ج١، ص٥٢ – ٥٣.

(٥٩) رأفت عبد الحميد محمد وطارق منصور محمد، مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤ – ٦٤١، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٢.

(٦٠) ايبرهارد ارنولد، المصدر السابق، ص ٢٥ – ٢٨.

(٦١) ول ديورانت، قصة الحضارة : الحضارة الرومانية في عصر الإيمان، ج١١، ص٣٧٠ – ٣٧١.

(٦٢) متولي شلبي، اضواء على المسيحية، ط٢، الكويت، ١٩٧٣، ص٢٤.

(٦٣) ايبرهارد ارنولد، المصدر السابق، ص ٢٨ – ٣٣.

(٦٤) (٦٤) انجيل يوحنا : (٥ : ٢١ – ٣٠).

(٦٥) انجيل لوقا : (٦ : ٢٩).

(٦٦) احمد ديدات، هل المسيح هو الله، ص ١٦.

(٦٧) نورمان. ف. كانتور، المصدر السابق، ج١، ص٦١.

(٦٨) Neill. S, A History of Christian Missions, Middlesex, ١٩٦٦, p.٣٨.

(٦٩) عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦ – ١٥٠٠، بيروت، ص٣٨.

(٧٠) ل. ج. شيني، تاريخ العالم الغربي، ترجمة : مجد الدين حفني ناصف، القاهرة، بلا تاريخ، ص٨٧ – ٨٨.

(٧١) ايبرهارد ارنولد، المصدر السابق، ص ٧٧ – ٨٢.

(٧٢) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص٣٧.

(٧٣) ايبرهارد ارنولد، المصدر السابق، ص ٣١ – ٣٢.

(٧٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٣ – ٣٤.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٧٦) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص٣٨.

(٧٧) ايبرهارد ارنولد، المصدر السابق، ص ٧٧ – ٧٨.

(٧٨) ل. ج. شيني، المصدر السابق، ص٨٨.

(٧٩) نور الدين حاطوم ونبيه عاقل واحمد طربين وصلاح مدني، موجز تاريخ الحضارة، دمشق، ١٩٦٤، ص٥٧٦ – ٥٨٤.

(٨٠) ول وايريل ديورانت، المصدر السابق، ج٣، ص٣٧٣ – ٣٧٤.

(٨١) رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧ص١٦.

(٨٢) المصدر نفسه، ص١٦.

(٨٣) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

(٨٤) https://arz.wikipedia.org/wiki سبتيموس_ساويرس.

(٨٥) ماجد عبد السلام، العلاقة بين الدين والدولة في اليهودية والنصرانية والاسلام، ص٤١٤.

(٨٦) أ. ب. تشارلز وورث، المصدر السابق، ص١٩٠.

(٨٧) سيد أحمد علي الناصري، المصدر السابق، ص٣٦٤.

(٨٨) https://www.marefa.org ديوكلتيانوس.

(٨٩) كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة د. قاسم عبدة قاسم، ط٥، القاهرة، ١٩٩٧، ج١، ص٦٠ – ٦١.

(٩٠) رأفت عبد الحميد، المصدر السابق، ص١١.

(٩١) محمد ابراهيم كركور، تطور العقيدة المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٢٢٥.

(٩٢) http://www.alkarmatv.com/highlights/-martyrs-martyrdom- christianity.

(٩٣) جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧، ج١، ص٤٦٢ – ٤٦٣.

(٩٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٦ – ٣٧.

(٩٥) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٨٦، ص٤١.

(٩٦) محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٦.

(٩٧) Chadwick. H, The early churuch, London, ١٩٦٧, p.١٢٢.

(٩٨) Rice. C. T, The Byzantines, London, ١٩٦٢, p.١٦.

(٩٩) محمد محمد مرسي الشيخ، المصدر السابق، ص١٦.

(١٠٠) Maclagan. M, The City of Constantinpole, New York, P.٢١.

(١٠١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ٤٠ – ٤١.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٠٣) Maclagan, Op. Cit., P. ٤٣.

(١٠٤) محمد محمد مرسي الشيخ، المصدر السابق ، ص١٧.

(١٠٥) https://www.marefa.org قسطنطين الأول.

(١٠٦) https://ar.wikipedia.org/wiki قائمة_الأباطرة_البيزنطيين#الأسرة_القسطنطينية_.

(١٠٧) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص٢٧.

(١٠٨) Ostrogosrky. G, Op.cit, p.٤٦.

(١٠٩) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة "قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية"، ج٤، ص٣٦ – ٤٤، ٥٥.

(١١٠) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص٦٦ – ٦٧.

(١١١) سيد أحمد علي الناصري، المصدر السابق، ص٤٦٨ – ٤٦٩.

(١١٢) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص٥٩.

(١١٣) ل. ج. شيني، المصدر السابق، ص٩١.

(١١٤) Procopius, History of the wars III Loab, London, ١٩٥١, p.٢٥ ; F. Lot, The End of the Ancient World and the Beginnings of the middle Ages, London, ١٩٣١, P. ٢٨٨.

(١١٥) E. Knapton, Europe ١٤٥٠ – ١٨١٥, Massachusetts, ١٩٥٨, p.٧٢.

(١١٦) ادوارد بروي، القرون الوسطى، ترجمة: اسعد داغر وفريد داغر، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص٢١ – ٤٢٥ هـ. و. ديفز، اوربا في العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص٢٩، ٤٠ ؛ كرستوفر دوسن، تكوين أوربا، ترجمة : سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٠٩ – ١١٦.

(١١٧) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص٦٧ – ٦٨.

(١١٨) المصدر نفسه، ص٥٩ – ٦٠.

(١١٩) رأفت عبد الحميد وطارق منصور، المصدر السابق ، ص٩٢ – ٩٩.

(١٢٠) ج. ويلتر، الهرطقة في المسيحية، تاريخ البدع الدينية المسيحية، ترجمة: جمال سالم، بيروت، ٢٠٠٧، ص٤٦ – ٥٦.

(١٢١) القس حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، بيروت، ١٩٨١، ج١، ص٧ – ١١.

(١٢٢) أسد رستم، كنيسة انطاكية، بيروت، ١٩٥٨، ج١، ص١٢١.

(١٢٣) ويلتر، المصدر السابق، ص٤٦ – ٩٦.

(١٢٤) محمد عطا الرحيم، المصدر السابق، ص ٩٥.

(١٢٥) كيرلس الانطوني، عصر المجامع، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١٠١ – ١٠٧.

(١٢٦) القس حنا الخضري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣ – ٢٦، ٤٥ – ٤٦.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص٤٣ – ٤٦.

(١٢٨) نيافة الأب يوانس، المصدر السابق، ص ٤٣ – ٤٤.

(١٢٩) كيرلس الانطوني، المصدر السابق، ص ١٧٢ – ١٧٨.

(١٣٠) محمد ابراهيم كركور، تطور العقيدة المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس، ص٢٥٠ – ٢٥١.

(١٣١) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

(١٣٢) متولي شلبي، اضواء على المسيحية، ص١٠٤ – ١٠٥.

(١٣٣) كيرلس الانطوني، المصدر السابق، ص ٣٢٧ – ٣٤٣.

(١٣٤) نيافة الأب يوانس، المصدر السابق، ص ٤٦.

(١٣٥) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص٤٠ – ٤١.

(١٣٦) Neill. S, Op. Cit, P. ٣٨.